



حبر أبيض
WHITE INK



أ.د. حياة الرشيدى

مكارم أخلاق العرب حوار منقول

سجّل التاريخ لنا حوارًا دار بين الصحابي الجليل ربيعة بن عامر ورستم قائد الفرس عن الأفكار العامة للإسلام والجهاد، فماذا قيل فيه؟

خلال فتح المسلمين لفرس أرسل رستم قائد الفرس يطلب من المسلمين وفدًا للحديث معه، وذلك لرغبته الأكيدة في الصلح، أو أية وسيلة أخرى يرجع بها الجيش المسلم دون الدخول معه في حرب، فذهب ربيعة بن عامر ليقابل رستم، و"ربيعي" هذا لم يكن من فُؤاد الجيوش الإسلامية، ولكنه سيد في قومه.

إليكم الحوار..

رستم: ائذنوا له بالدخول.

فدخل "ربيعي" بفرسه على البُسْطِ (السجاد) الممتدة أمامه، وعندما دخل بفرسه وجد الوسائد بها ذهب، فقطع إحداها، ومرّر لجام فرسه فيها وربطه به، ثم أخذ رمحه، واتجه صوب رستم وهو يتكئ عليه، والرمح يدب في البسط فيقطعها، ووقف أهل فارس في صمت، وكذلك رستم، وبينما هم يفكّرون في جلوسه جلس على الأرض، ووضع رمحه أمامه يتكئ عليه، وبدأ رستم بالكلام.

رستم: ما دعاك لهذا؟ (أي: ما الذي دفعك للجلوس على الأرض؟).

"ربيعي": إنا لا نستحب أن نجلس على زينتك.

رستم: ما جاء بكم؟

"ربيعي": لقد ابتعثنا الله لئُخرج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة، فمن قيل ذلك منا قِيلنا منه، وإن لم يقبل قبلنا منه الجزية، وإن رفض قاتلناه حتى نظفر بالنصر.

رستم: قد تموتون قبل ذلك.

"ربيعي": وعدنا الله عز وجل أن الجنة لمن مات منا على ذلك، وأن الظفر لمن بقي منا.

رستم: قد سمعتُ مقالتك (أي فهمتُ مقصدك)، فهل لك أن تُؤجلنا حتى نأخذ الرأي مع قادتنا وأهلنا؟ فهو يطلب منه مهلة يفكر فيها.

"ربيعي": نعم، أعطيك، كم تحب يومًا أو يومين؟

رستم: لا، ولكن أعطني أكثر؛ إنني أخطب قومي في المدائن.

"ربيعي": إن رسول الله قد سنّ لنا ألا نُمكّن آذاننا من الأعداء، وألا نُؤخرهم عند اللقاء أكثر من ثلاث (أي ثلاثة أيام فقط، حتى لا يتمكّنوا منا ويتداركوا أمرهم)، فإني أعطيك ثلاثة أيام، بعدها اختر الإسلام وارجع عنك، أو الجزية، وإن كنتَ لِنَصْرِنَا محتاجًا نصرناك، وإن كنتَ عن نصرنا غنيًّا رجعنا عنك، أو المنابذة في اليوم الرابع، وأنا كفيل لك عن قومي ألا نبدأك بالقتال إلا في اليوم الرابع، إلا إذا بدأتنا (أي: أنا ضامن لك أن لا يحاربك المسلمون إلا في اليوم الرابع).

رستم: أسيدهم أنت؟ (أي: هل أنت سيد القوم ورئيسهم حتى تضمن لي أن لا يحاربوني؟).

"ربيعي": لا، بل أنا رجل من الجيش، ولكنّ أدنانا يُجير على إعلاننا. (فهو يقصد أن أقل رجل منا إذا قال كلمة، أو وعد وعدًا، لا بُدَّ وأن يُنفذه إعلاننا).

وعاد رستم يُكلم حاشيته مرة أخرى.

رستم: رأيتم من منطيقه؟! رأيتم من قوته؟! رأيتم من ثقته؟! يخاطب قومه ليستميلهم إلى عقد صلح مع المسلمين، وبذلك يتجنب الدخول معهم في حرب.

ولكنهم رفضوا ولجّوا.

وكان القتال.

وانتصر المسلمون وانتهت دولة الفرس.

ولم يكن الترك في استعلائهم وقوميتهم بأقل من ذلك، وللتاريخ بقية..